



قرادات

أصل مصطلح الهويتشو وتطوره
كيف جاء مُسمّى المواطنين الصينيين المسلمين؟

رجب - شعبان ١٤٣٧ هـ / إبريل - مايو ٢٠١٦ م

وان لي

ترجمة

عبدالعزیز الحمید

أصل مصطلح الهويتشو وتطوره كيف جاء مُسمّى المواطنين الصينيين المسلمين؟

وان لي

ترجمة

عبدالعزیز الحمید

٢) مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لي، وان

أصل مصطلح الهويتشو وتطوره، كيف جاء مُسمّى المواطنين المسلمين الصينيين؟ / وان لي؛ عبد العزيز الحميد - الرياض، ١٤٣٧هـ

٣٦ ص؛ ١٦،٥×٢٣ سم

ردمك: ٩٣-٠-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨

١- اللغة الصينية ٢- المصطلحات أ. الحميد، عبدالعزيز (مترجم)

ب. العنوان

١٤٣٧/٩٣٨٦

ديوي ١، ٤٩٥

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٩٣٨٦

ردمك: ٩٣-٠-٨٠٣٢-٦٠٣-٩٧٨

تحرير ومراجعة لغوية

يوسف حجاج

تصميم وإخراج

أزهري النويري

إخلاء مسؤولية

تعكس هذه الدراسة ومحتوياتها تحليلات الكاتب وآراءه، ولا ينبغي أن تُنسب وجهات النظر والآراء الواردة فيها إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ويُعدّ الكاتب وحده مسؤولاً عن أيّ أخطاء ترد فيها.

المحتويات

٥	مقدمة
٧	اشتقاق الكلمة
١٠	«الهوي-هوي»
١٤	التوثيق الرسمي كجماعة عرقية مستقلة
١٩	مصطلح «الهويتشو Huizu» في وثائق أسرة تشينغ
٢٤	الاستخدام المتنازع عليه للهوي-جياو، والهوي-مين (هويتشو)
	في الصين الحديثة
٣٠	الخاتمة

مقدمة

مصطلح «الهويتشو Huizu» هو المسمى الرسمي للهوي هوي تشو (جماعة الهوي هوي العرقية) في الصين المعاصرة. وهو مشتق من منظومة نُسخ بينين الصينية الأصلية المدوّنة، والمستمدة من الكلمات المنطوقة من حرفين منفصلين في اللغة الصينية، هما: «هوي» و«تشو»، ولكل منهما معنى مستقل، ثم أصبح لهما معنى جديد عندما تم دمجهما ليُكوّنان معاً كلمة «الهويتشو» (على غرار النمط القياسي لتشكيل الكلمة الصينية). والمقطع السابق هو اختصار لـ «هوي-هوي»، وهو مصطلح يشير إلى جماعة عرقية ظهرت في منطقة «تشيو Xiyu» (المناطق الغربية الموجودة على الجانب الآخر من إقليم شينجيانغ الحالي) منذ أواسط القرن السابع عشر الميلادي. وكان هؤلاء الناس من المهاجرين الأوائل من المناطق ذات الأغلبية المسلمة في آسيا الوسطى الذين استقروا داخل الأراضي الصينية. وقد ظهر هذا المقطع الأخير في أوائل عهد سلالة شانغ (القرن ١٦ - ١١ قبل الميلاد) في «جياغوين jiaguwen»، في النقوش المكتوبة على العظام ودروع السلاحف.

وتعني كلمة «تشو Zu» حرفياً: «مجموعة من السهام»، ثم تطورت لاحقاً إلى معنى «القبيلة» في عصرنا الحاضر، وتُستخدم كمكوّن في كلمة صينية أخرى، هي «منتسو minzu» التي تعني: «جماعة عرقية».

«منتسو» هي كلمة تتكون من مقطعين: «مين» و«تسو»، ولكل منهما معنى مستقل. «مين» ظهرت إلى الوجود في عهد أسرة تشو (١٠٤٢ - ٢٢٥ قبل الميلاد)، وتشير إلى المُستعبدِين، وكذلك إلى قبيلة من الناس. «منتسو» هي كلمة مكونة من حرفين من الحروف الصينية، دخلت إلى اللغة الصينية من اليابانية، واستُخدمت في البداية من قِبَل ليانغ كيشاو في مقال له نُشرَ عام ١٨٩٩ م. كانت الحروف «الكانجي» ترجمةً من مصدر لغة مجهولة^(١)؛ لذلك، وسواء أكانت «Huizu» مترجمةً كي تعني «قبيلة الهوي هوي»،

شكر وعرفان:

أود أن أعرب عن امتناني هنا للسيد كارسون كوبكه، أحد زملائي في جامعة شينجيانغ للزراعة والغابات، لتدقيق وتصحيح الأخطاء المطبعية وتحريّر المقالة باللغة الإنجليزية.

١ - طبعة تشانغ قوانغ شيويه، تشونغهوا دي منتسو شيبى التعريف بمنتسو الصين (بكين: منتسو تشوبن شي، ١٩٩٥)، ٢٦-١، الفصل الأول.

أو «قومية الهوي هوي»؛ فليس هناك غموض في معنى هذا التعبير الصيني. ولا يوجد شيء جديد في دلالات كلمة «Huizu». ولكنَّ المشكلة هي أن الكلمة تمثل أحد العناصر الأكثر حساسية في الجدل الدائر حول ما يتعلق بإنشاء جماعة الهوي العرقية، وأن ذلك تم على يد الحكومة الصينية في خمسينيات القرن الميلادي الماضي، عندما أطلقت الحكومة حملة هُويّاتٍ عرقية استمرت قرابة نصف قرن من الزمان.

يقول بعض الباحثين الغربيين: إن شعب الهوي كان مجرد جماعة دينية، وليس مجموعة عرقية منفصلة. وكانت الـ«Huizu» «قد أنشئت من قِبَلِ الحكومة» وَفَقاً لمنتسو الستالينية أو وَفَقاً لنموذج عرقي^(٢).

وليس الهدف من هذه الدراسة مناقشة سياسة الحكومة؛ بل التركيز في جدلية مصطلح «Huizu» نفسه وتطوره، فضلاً عن جماعة من الناس يرمز إليهم هذا المصطلح، استناداً إلى الوثائق الصينية التاريخية، بُغية وضع كلمة «Huizu» وتلك الجماعة في تسلسل تاريخي متصل، منذ العصور القديمة حتى اليوم، وليس بوصفها جماعة أُسِّسَتْ حديثاً من قِبَلِ الحكومة المركزية الصينية في خمسينيات القرن الميلادي الماضي.

٢- انظر، Dru C. Gladney, Muslim Chinese: Ethnic Nationalism in the People's Republic (Cambridge, 1991), 293-337 (chapt. 7, Conclusion MA: Harvard University Press, 1991). يستخدم جلادني مصطلح «السلالات البشرية» لتأكيد الطريقة التي كانت الحكومة الصينية قد أنشأت من خلالها العديد من المجموعات العرقية في الصين، وهي عملية قد تكون جماعة الهوي تمثل فيها حالة معينة.

انظر أيضاً Jonathan N. Lipmann, Familiar Strangers: A History of Muslims in Northwest China (Hongkong: Hong Kong University Press, 1997), xxii-xxiii. حيث يقول: إن تسعاً من عشر أقليات عرقية مسلمة في الصين، تسكن أراضي أجدادها ويتحدثون لغات خاصة بهم، وتصنف منها فقط جماعة الهوي منتسو الذين هم من نسل المسلمين الذين لا ينتمون إلى أي من المجموعات التسع الأخرى.

اشتقاق الكلمة

تم اشتقاق مصطلح «الهوي-هوي» من «الهوي-هو»، وهو المسمى الحالي لشعب الأويغور^(٣). لذا فمن الضروري أن نبدأ بدراسة تطور المسمى العرقي للأويغور. كان مسمى الأويغور (وهم الذين يقيمون بصورة رئيسة في منطقة شينجيانغ) أيام حكم سلالات سوي وتانغ، هُوَ: «هوي-هي» في الوثائق الصينية التاريخية، مثل: «وي شو»، وهو كتاب عن سلالة وي (من أوائل القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الميلادي)، و«سوي شو»، وهو كتاب عن سلالة سوي (من أوائل القرن الرابع إلى منتصف القرن السادس الميلادي)، و«شين تانغ شو»، وهو إصدار جديد لكتاب عن سلالة تانغ (حُرِّرَ عام ١٠٦٠م)^(٤). وفي عصر «تشن يوان»، من سلالة تانغ (٨٨-٧٨٥م)، طلبت سلالة تانغ من شعب الهوي رسمياً تغيير مسمى عرقيتهم إلى «الهوي-هو»:

في ذلك الوقت، قدّم [خان اليوغور]، بكل تواضع، طلبه إلى الإمبراطور [من سلالة تانغ]، قائلاً: إنه كان لليوغور علاقةٌ أُخُوَّةٍ معهم فيما قبل، وأصبح بينهم وبين الإمبراطور اليوم علاقة الأب بأبنائه [حيث تزوج الخان ابنة الإمبراطور]، وكونه صهراً له؛ يعني أنه بمنزلة «نصف ابنه». وقال: «عندما يشعر صاحب الجلالة بقلق بسبب اعتداءات الـ Xirong [وهو مسمى إحدى الأقليات في الغرب]، فأنا هنا، ابنك، أتعهد [لصاحب الجلالة] ببذل قصارى جهدي لقيادة القوات لإلحاق الهزيمة بهم. وأرجو هنا أيضاً تغيير مسمى [شعبي]: «الهوي-هي» إلى «الهوي-هو»؛ ما يعني أنه [شعبي] سيكون بارعاً وماهراً مثل النسور»^(٥).

و«هُوَ» تشير هنا إلى اسم نوع من النسور التي تعجب شعب الهوي. ومنذ ذلك الوقت، وحتى أوائل العصر الجمهوري، ومُسمّى الهوي-هو يُستخدم بدلاً من المسمى السابق لهذه الجماعة. وفي أربعينيات القرن الميلادي الماضي، في ظل حاكمية شنغ شي تساي، اعتمد مُسمّى «الويور-Weiwu'er»، وهو المرادف في اللغة الصينية لمسمى «الويغور» في الإنجليزية^(٦).

٣- تستخدم بعض الوثائق التاريخية «الويغور Uighur»، ولكنني اخترت استخدام «اليوغور Uyghur» هنا لأنه كان آنذاك أكثر شيوعاً من اليوم.

4 - Wang Riwei, "Weiwu'er [Chan-hui] minzu mingcheng yanbian kao [Evolution of the titles of the Uighur or Tibetan Hui] in Yu Gong [The Chinese Historical Geography] (Beiping), 7, no. 4 (1937): 27-45.

٥- انظر، See Xin Tang Shu [New Versioned Book of the Tang Dynasty], scroll 117.

٦- يمكن العثور على الإعلان عن تغيير المسمى «إعلان حكومة مقاطعة شينجيانغ لتغيير مسمى تشان هوي إلى Weiwu'er اليوغور»، في تيانشان Yuekan [نشرة تيانشان الشهرية] (نانجينغ)، ١، لا. ٥ (١٩٣٥): ٥٣. أي شا مترجمة من اليوغور إلى اللغة الصينية.

وبالعودة إلى مصطلح الهوي-هوي، نرى أنه ظهر في أوائل عهد سلالة سونغ الشمالية (٩٦٠-١١٢٧م) في كتاب بعنوان: «منغ شي بي تان» (ملاحم من أرض الأحلام الإغريقية)، الذي كتبه «شين كو» بين سنتي ١٠٨٦ و ١٠٩٣م. وقد سجل المؤلف في مجموعة المقالات القصيرة التي كتبها حول التكنولوجيا، وغيرها من الموضوعات، بعض القصائد الحربية التي تغنّى بها جنود مملكة سلالة سونغ في يانان، وهو موقع عسكري محاذٍ للحدود الجنوبية لمملكة تانغوت Tangut البوذية من سلالة شيا الغربية. وهذه أبيات من قصيدة غنائية:

رايات الأفواج مرصوفة مثل قطع الحرير،
الجنود المسلحون من جيش بيوي يخوضون معركة ضد الهوي هوي.
إنهم عازمون على اكتساح الأعداء وسحقهم في الطريق إلى أنشي،
لكي ترَدَ خيولهم من منابع النهر.

يشير «جيش البيوي Beiwei» إلى وحدة قوية من وحدات الجيش في عهد أسرة سونغ. وتشير كلمة «أنشي» إلى المواقع العسكرية الأربعة في أقصى الأراضي المركزية الآسيوية التابعة لمملكة تانغ. وتشير عبارة «منابع نهر» إلى هضبة بامير، التي كانت تشمل في ذلك الوقت منبع النهر الأصفر.

في الآونة الأخيرة، طُرِحَ تفسيرٌ جديد للبيت الثاني من الأغنية:
إذا ما تم الفصل بين مقطعي كلمة «هوي هوي»، وجعلهما في كلمتين مستقلتين لكل منهما معنى مختلف، فتشير كلمة هوي الأولى إلى معنى عام يرمز إلى شعب الهوي، وإلى الأقليات أو الشعوب في الشمال الغربي في ذلك الوقت (وليس إلى أقلية الهوي الحالية)؛ في حين أن المقطع الثاني «هوي» يعني «العودة»، لأن الحرف الصيني «回» يحمل أيضاً مثل هذا المعنى. وبهذه الطريقة، يمكن ترجمة الجملة الثانية بدلاً من ذلك إلى:

«جنود مسلحون من جيش البيوي عادوا إلى قاعدتهم بعد معركة مع الهوي».

هذا الاستنتاج جديد، لكنه ليس مقبولاً على المستوى الشعبي حتى الآن. وهنا معضلة، كما يجادل «تانغ كيجيان»، فيقول: لماذا يغني جنود مملكة سونغ أغنية عن

«قتال الهوي هوي»، وحدود بلاد سلالة سونغ كانت غربي «شيا Xia» وليس «شيويو Xiyu» (المناطق الغربية) حيث عاش الهوي هوي؟. وفَسَّرَ «شين كوو» هذا اللغز بقوله: إن الأغاني كانت بلُغة شنج بيلي تشي يو shijing bili zhi yu، أو «لغات السوق المبتدلة» المنطوقة، أو التي يتغنّى بها الناس غير المتعلمين. مثل هؤلاء الناس قد يكررون الأغاني القديمة من عهد مملكة أسرة تانغ السابقة، التي كانت ملاصقة لمناطق شيويو Xiyu، حيث كان الهوي هوي هم الأعداء المحتملين للتانغ. وكانت سلالة سونغ هي التي خلفت مباشرة سلالة تانغ، وَلَكِنَّ أراضيتها تقلصت، وظهرت سلالة شيا الغربية بين مملكتي سونغ وشيويو. واستمر شعب مملكة سونغ في ترديد القصائد القصصية القديمة، ولكن هذا لا يعني أن قوات الهوي هوي كانت تغزو مملكة شيا الغربية. إن عبارة المقطع المزدوج «هوي هوي» التي يستخدمها شين كوو هي أول استخدام يدوّن مثل هذا التعبير، الذي أصبح شائعاً جداً، ولكنه لا يحمل التسمية الأصلية اليوم. ولا شك بأن شين كوو استخدم المصطلح تحديداً للإشارة إلى الأويغور Uyghur، والمعروف في اللغة الصينية باسم هوي-هي، ثم الهوي-هو جين تاو. وقد نَصَّ العالم المعروف «جو يانوو Gu Yanw» في كتابه: «ري تشي لو Ri Zhi Lu» (تراكمات المعرفة اليومية)، من عهد سلالة يوان المغولية السابقة (١٦١٣-١٦٨٢م)، على ما يلي:

الهوي-هي من سلالة تانغ هي، وَهُمُ الهوي-هوي اليوم. وينصُّ «تانغ شو»، وهو كتاب من سلالة تانغ، على أن «الاسم الآخر للهوي-هو هُو: الهوي-هي». وسجَّلَ كتابُ «يوان شي» (التاريخ من عهد أسرة يوان) الاسمَ القبليَّ للـ«وي-وو-إيه» (اليوغور). هنا «وي» تحولت إلى هوي، و«وو» إلى هُو. وهذا يعني أن الهوي-هوي تحولت أيضاً إلى هوي-هو^(٧). هذا الاستنتاج كان مقبولاً على نطاق واسع بين أجيال الباحثين المختصين بدراسات الهوي. لَكِنَّ، تجدر الإشارة إلى نقطتين:

أولاهما: أن كتابة شين كوو لمخططاته عن أرض الأحلام الإغريقية تزامنت مع انهيار مملكة سلالة شيا الغربية حوالي سنة ١٠٦٨م، في وقت كان «الهوي-هو» يعتنقون المانوية، لذلك فإن مصطلح «الهوي-هوي»، المستخدم خلال تلك الفترة، والمشتق من

7 -Gu Yanwu, Ri zhil lu Daily Accumulation of Knowledge (first printed in 1760), scroll 29 with the sub-title «Tubo»Tibetan.

«الهوي-هو»، لا علاقة له بدين الإسلام، وليس له علاقة بـ«الهوي-هوي» الحالية^(٨). وثانيتها: أن التحول الاصطلاحي استغرق مدة طويلة، حيث خَلَدَ مصطلح «الهوي-هي» و«الهوي-هو» في عدد من الوثائق التاريخية حتى عندما كان مصطلح الهوي-هوي يشير بوضوح إلى الدلالة على أسلاف الهوي-هوي المعاصرين؛ ولكن ليس الأويغور. وقد وُصِفَ بعض شخصيات الهوي-هوي الحقيقية باسم «هوي-هي»، أو «هوي-هو» في الكتب التاريخية، حتى مع سلالة يوان المغولية الحاكمة لاحقاً. إن التأكد من كيفية نَحْوُل مُسَمَّى جماعة معينة من الناس؛ أي الهوي-هوي، أو أقلية «الهوي» في الوقت الحاضر، يتطلب مزيداً من الاستكشاف.

«الهوي-هوي»

عانت أسرة سونغ الجنوبية الحاكمة (١١٢٩-١٢٧٩ م) كثيراً من الهجمات التي شَنَّها عليها منافسوها المعاصرون. فبالإضافة إلى شيا الغربية في الغرب، كانت أسرة جين في الشمال قوةً تمثل أيضاً مصدر تهديد لها. في ذلك الوقت، برز الشعب المغولي فاعلاً جديداً مؤثراً في المناطق الشمالية البعيدة من هضبة المغول. وكثيراً ما أبدلت أسرة سونغ الجنوبية حلفاءها الدبلوماسيين والعسكريين. ففي السنة الخامسة من عصر مملكة شاودينغ Shaoding (١٢٣٢م)، أرسل البلاط المغولي مبعوثين إلى أسرة سونغ الجنوبية بغية كسب حليف لهم ضد أسرة جين. بعد ذلك، أرسلت أسرة سونغ الجنوبية مبعوثيها الخاصين للرد بزيارة دبلوماسية إلى البلاط المغولي. وكان «بنغ دايا» (ت ١٢٤٥م)، الذي كان واحداً من النبلاء في بلاط أسرة سونغ (كان أحد المسؤولين البيروقراطيين المرموقين من المرتبة السابعة في عهد أسرة سونغ الجنوبية) عضواً في الوفد وأمين سره، وهو من دَوَّن تلك الزيارة الرسمية. بعد أن عاد بنغ دايا من لدن خانات المغول، كتب عام ١٢٧٣م كتاباً

٨- خلال هذه الفترة، من نهاية القرن العاشر إلى أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، دخل الإسلام يوتيان Ye'erqiang وكاشي (كاشغر) في الجزء الجنوبي الغربي من شينجيانغ. وخلال القرن الثالث عشر، وصل الإسلام إلى كوتشه في منتصف الجزء الجنوبي لشينجيانغ. بين القرنين الرابع عشر والخامس عشر (من نهاية سلالة يوان إلى منتصف عهد أسرة مينغ)، انتشر الإسلام بين الناس في الجزء الشرقي من منطقة شينجيانغ، وهي متاخمة لمناطق «هان» التقليدية من مقاطعة قانسو. بعد القرن الثامن عشر (في النصف الثاني من عصر سلالة تشينغ)، وصل الإسلام أخيراً إلى الجزء الشمالي من منطقة شينجيانغ. انظر: Wang Riwei, "Yu Chen Yuan'an xiansheng lun hui-hu, Hui Hui deng mingcheng" A discussion with Mr. Chen Yuan'an on the terms of Hui-Hu, Hui Hui and other titles, Yu Gong (Beiping), 4, no. 10 (1936):15-33

بعنوان: «تقرير مقتضب عن التتار السود Heida Shilue»، بناء على تجاربه الشخصية. كما قَدَّمَ مسؤول آخر في مملكة سونغ، يُدعى «شو تينغ»، الذي قام بزيارة إلى البلاط المغولي بين عامي ١٢٣٥ و ١٢٣٦م، ملاحظاته على كتاب بنغ. وكان الشعب المغولي الذي يعيش في الجزء الشمالي من هضبة منغوليا هم من يُسمُّون بالتتار السود، للتفريق بينهم وبين التتار البيض الذين يعيشون جنوبي الصحراء المغولية.

كان «بنغ» أول شخص استخدم مصطلح الهوي-هوي للإشارة إلى جماعة من الناس جاؤوا من وسط آسيا وغربها خلال حكم الإمبراطوريات الفارسية والعربية. هاجر أولئك الناس إلى الصين قبل فترة من حكم أسرة يوان (منذ أواسط القرن السابع)، ومن ناحية أخرى، وصل الشعب المسلم من خوارزم بعد الحملة المغولية الأولى بين ١٢١٧ و ١٢٢٣م. وقد ميزهم بنغ بشكل واضح من شعب الأويغور. ومن المرجح أنه استعار مسمى الهوي-هوي من الناس الذين زارهم، إذ إن المصطلح لم يظهر في جنوبي الصين، حيث حكمت أسرة سونغ الجنوبية.

وإجمالاً، فقد ذُكر مصطلح الهوي-هوي سبع مرات في كتاب بنغ. فقد ذكر الكتاب، على سبيل المثال، أن أربعة موظفين في البلاط المغولي كانوا مسؤولين عن إدارة الشؤون المتعلقة ببلدان شعب الهوي هوي. وكانت مفردات لغة الهوي هوي مكتوبة بطريقة تشبه «أثر سير الثعبان» (ربما تكون حروفها المكتوبة فارسية شرقية، وهي تختلف كثيراً عن الحروف الصينية بالطبع)^(٩)؛ لأن نسبة شعب الهوي هوي مقابل شعب هان الصيني كانت ثلاثة إلى سبعة (٧/٣) في الإمبراطورية، وكانت هناك قوات من الهوي هوي في الخانات.

٩- قدم البروفيسور هو جين تشن هوا، من جامعة منتسو الوسطى بالصين، حلقة دراسية في المؤتمر الوطني العشرين للجمعية الوطنية لدراسات الهوي في نوفمبر / تشرين الثاني ٢٠١٢م في تشيوانتشو بمقاطعة فوجيان، بشأن اللغة التي استخدمها شعب خوارزم وشعوب دول آسيا الوسطى الأخرى قبل الحملات المغولية. وأكد أن لغتهم هي اللغة الطاجيكية، التي تنتمي إلى فرع اللغة الفارسية الشرقية، وتتطابق مع اللغة الفارسية في شكلها المكتوب، ولكن يوجد بها بعض الاختلاف في النطق. هذا هو السبب الأول الذي جعل الشعب الصيني يخطئ في نسبة لغة الشعب الطاجيكي إلى الفرس. ثانياً: يدعي عدد من المصادر التاريخية الصينية أن التجار المسلمين الذين جاؤوا إلى الصين كانوا ينتمون إلى شعوب «داشي Dashi»، أو العرب، لأنه ينبغي في الواقع أن يُقرأ الحرف «دا» بوصفه «طا» وحرف «شي» بوصفه «ج» في كلمة «جيك»، ما أسفر عن مدلول كلمة «الطاجيك»: لأن الحرف «شي» باللغة الصينية القديمة يُنطق «شيك» قريباً من نطق «جيك». لذا، فالخلاصة أن الادعاء بأن العديد من المهاجرين المسلمين الذين استقروا في الصين منذ منتصف القرن السابع كانوا من العرب ليس صحيحاً. فقد كانوا، في الواقع، من الطاجيك والشعوب التركية الأخرى التي تستخدم اللغة الفارسية. ولأن الحدود الشرقية للإمبراطورية العربية شملت المناطق التي عاش فيها الشعب الطاجيكي المتاخمة للصين، فقد أخطأ الشعب الصيني في نسبة الطاجيك إلى العرب، ومن ثم ينبغي أن يُفهم أن لغة الهوي هوي التي ذكرها بنغ دايا في كتابه هي لغة فارسية.

وعندما انتهى بنغ دايا من كتابة تقريره القصير عن التتار السود، كانت أول حملة للمغول على وسط آسيا (١٢٢٣-١٢٢٧م) قد انتهت، وكانت إمبراطورية خوارزم قد انهارت. ووفقاً لما ذكره ميرزا محمد القزويني، أنه عندما احتل المغول سمرقند، إحدى المدن الرئيسية في خوارزم، تم اختيار «ثلاثين ألفاً منهم [الأسرى] لمهاراتهم الحرفية. وقسم جنكيز خان هؤلاء الثلاثين ألفاً بين أبنائه وأقاربه، في حين تم اختيار عدد مماثل منهم من الفتية والشجعان لغرض التجنيد»^(١٠).

وعندما احتلت خوارزم بالكامل، اضطرَّ عدد كبير من الناس إلى الهجرة إلى الشرق. الخلاصة، أن المغول عندما انتهوا من المعارك التي خاضوها في خوارزم وفعلوا الأفاعيل من الأسر والنهب، والذبح وسفك الدماء، قاموا بتقسيم السكان وكذلك الحرفيين وإرسالهم إلى بلدان الشرق. واليوم هناك كثير من الأماكن التي تُزرعُ والمأهولة بالسكان من خوارزم^(١١).

هنا، لا بد أن أشير إلى أن معظم أسلاف شعب الهوي هوي؛ أي ما يُسمى اليوم بجماعة الهوي هوي العرقية أو الهويتشو Huizu، جاؤوا من خوارزم في وسط آسيا؛ وانضم إليهم غيرهم من المسلمين من المناطق المجاورة في هضبة آسيا الوسطى الكبرى بعد حملتي المغول الثانية والثالثة (١٢٣٤-١٢٤١م، و١٢٥٣-١٢٥٨م، على التوالي). فلم يكن المهاجرون المسلمون إلى الصين قبل الحملات المغولية سوى جزء صغير من مجمل شعب الهوي.

هنا موضوع فرعي أبعد قليلاً من الموضوع الذي أناقشه، وهو: هل كان لفئة واحدة من أسلاف من يُسمون بشعب الهوي هوي - الذين هاجروا إلى الصين بين أواسط القرن السابع وأوائل القرن الثاني عشر الميلادي - أن تتمكن من تشكيل جماعة عرقية مستقلة إذا لم تكن هناك أفواج متعاقبة من المهاجرين بأعداد كبيرة من خوارزم بسبب حملات المغول؟ ما زال هذا مجرد افتراض. وبعض العلماء، من أمثال: «باي شوي»، يصرُّ على أن هذا الافتراض قد يكون اليوم صحيحاً، فيقول:

وبالنظر إلى أوضاع التجار العرب والفرس في الصين [قبل الحملات المغولية] وتكيفهم

10- Mirza Muhammad Qazvini, trans., John Andrew Boyle. The History of the World-Conqueror (Cambridge MA. Harvard University Press, 1958), 122 (Chapt. 18, "Of the Conquest of Samarqand.")

١١- المصدر نفسه («19, "Of the fate of Khorazm» Chapt. 128).

وفق ظروف التنمية المستدامة، فلربما كان هناك احتمال بأنهم استطاعوا تشكيل جماعة عرقية جديدة في الصين. ومع ذلك، ونتيجة للغزوات الغربية من قبَل الطبقة الحاكمة المغولية، فإن العناصر الرئيسة التي كَوَّنت جماعة الهوي هوي العرقية اليوم هي من نسل الأسرى والحرفيين المسلمين [من خوارزم والمناطق المجاورة] الذين أُجبروا على الهجرة إلى الصين بأعداد كبيرة، وليسوا أحفاد التجار [العرب والفرس الأوائل]^(١٢).

وتوصَّل «يانغ زهيجيو»، وهو باحث آخر من الهوي من الصين، إلى استنتاج معاكس. يقول: لأنه لم تكن هناك حملات [للمغول] باتجاه الغرب؛ أي الصين، فقد يكون في الصين مسلمون، ولكن ليس بأعداد كبيرة، وربما يكونون قد اسْتُوعِبُوا بالفعل في أغلبية الهان، على الرغم من تَشَكُّل جماعة الهوي هوي العرقية بعد ذلك^(١٣).

لَكِنَّ الحقيقة التاريخية هي أن المغول شَنُّوا حملات باتجاه الغرب؛ ومن ثم كان هناك تدفقٌ تيارٍ لا بأس به من مهاجري الهوي هوي دخلوا إلى الصين، واندمجوا مع أحفاد التجار المسلمين الذين سبق أن استقروا قبلهم فيها.

عندما استخدم بنغ دايا مصطلح الهوي هوي في كتابه، اقتبس التسمية من شعوب «الهان المحلية» الذين يشكلون الأغلبية في شمالي الصين، وليس من المغول. فمُسَمَّى «Sarat'ul»، الذي أطلقه المغول على المسلمين من آسيا الوسطى، يبدو محيراً للصينيين، ولا معنى له عند القارئ الصيني. وقد استخدم المغول مسمى «Sarta'ul» للدلالة على البلد الذي جاء منه الهوي هوي المسلمون، وهو خوارزم، واستخدموا لفظة «Sartartia» للإشارة إلى المذكر، و«Sataq'ci» للمؤنث. ووفقاً ليانغ زهيجيو، فإن جذر كلمة «سرت sart» مأخوذ من اللفظة السنسكريتية «sartha»، وتعني التاجر في اللغة التركية، كما تعني كلمة «سرت» أيضاً الشخص الذي استقر داخل المدينة. وكانت كلمة «سرت» هذه تُطلق على الفرس المسلمين،

12- Bai Shouyi, "The Rebirth of the Hui Hui Minzu [written in 1951] in Bai Shouyi, *Bai Shouyi Minzu Zongjiao Lunji* [Collected articles of Bai Shouyi on Ethnicities and religions] (Beijing: Beijing Teacher's University, 1992): 104.

13- Yang Zhijiu, *Yuna dai Huizu shigao* [Historical draft for studies of the Yuan dynasty] (Tianjin: Nankai University Press, 2003), 19.

قبل الغزو المغولي، وهي، في الوقت نفسه، تحمل دلالات عرقية ودينية على السواء^(١٤). وقد وردت كلمة «Sarta'ul» في كتابي: «التاريخ السري للمغول» (القرن الثالث عشر)، و«التاريخ السري لحكم أسرة يوان» (الذي أنجز عام ١٢٠٤م). وقد استخدمت النسخة الصينية الباقية من كتاب التاريخ السري للمغول - الذي اكتمل في أوائل عهد أسرة مينغ - الحروف الصينية لمعرفة كيفية نطق اللغة المغولية، ولكن، لا يمكن لأي شخص لا يعرف لغة المغول أن يدرك ذلك. وقد تُرجم مصطلح «Sarta'ul» إلى خمسة أحرف صينية، هي: «Sa-ta-er-wu-le»، مع شرح للحرفين الصينيين «هوي-هوي»، في الهامش، بوصفهما يقابلان مصطلح «Sarta'ul»^(١٥).

وحيث إن إمبراطورية المغول استمرت في التوسع، فقد واصلت دلالة مصطلح «Sarta'ul» أيضاً التوسع بدورها تدريجياً لتشمل مناطق أخرى تشترك في الخصائص الثقافية لإقليم خورازم. كما توسع التعبير الصيني «هوي-هوي» أيضاً، وكذلك مصطلح «Hui-Hui guo» (بلاد الهوي هوي). كان المصطلح المغولي «Sarta'ul» ومقابلته الصيني «هوي-هوي» يشير، في البداية، إلى الخوارزميين وإلى بلدهم، وفي وقت لاحق تم تصنيف العديد من الشعوب المماثلة أو القريبة من خوارزم بوصفهم من «الهوي-هوي»، وأُطلق على أوطانهم: دول الهوي-هوي.

التوثيق الرسمي كجماعة عرقية مستقلة

تُظهر الدراسات التي تُعنى بأصل كلمة الهوي-هوي أنه مصطلح لم تكن له في الأصل دلالة دينية، ولكنه يشير إلى العرق فحسب. وهناك مزيد من الأدلة يمكن العثور عليها

١٤ - المرجع نفسه، ص ٦٧.

ومن المثير للاهتمام، أن جماعة دونغشيانغ العرقية في مقاطعة فانسو تقدمت بالتماس للحكومة الصينية لاستخدام «الستار» كلقب عرقي رسمي لهم بدلا من المسمى الحالي «دونغشيانغ». وتعرف هذه الجماعة العرقية تاريخياً بـ «دونغشيانغ هوي هوي»، لأن أفرادها يختلفون عن الهوي هوي الحقيقيين، إلا أنهم يمارسون شعائر الإسلام كما يمارسها الهوي هوي. وتم إرسال أسلافهم من قبل سلالة يوان المغولية للدفاع عن دونغشيانغ. انظر - «Removing the Secret Veil of the Dongxiang» [«Jiekai Sa-ta-er ren de shenmi mianhsa»]

Secret Veil of the Dongxiang», Lanzhou Evening (newspaper), October 11, 2009.

١٥ - انظر. The Chinese version of *The Secret History of the Mongols*, scroll 11, passage 254.

في عبارات مثل «Shuhu هوي هوي» (في إشارة إلى اليهود)، و«Lüjing هوي هوي» (أزرق العينين من الهوي هوي: في إشارة إلى قبيلة Ahsu المسيحية)، و«Luoli هوي هوي» (في إشارة إلى العجر)، والتي تظهر بشكل متكرر في الوثائق التاريخية الصينية خلال عهد أسرة يوان. لقد تم تصنيف هذه المجموعات الفرعية من فئة الهوي هوي العامة، كما أن الطابع العرقي في تلك التسميات واضح. وتُعدُّ سجلات أحداث شينجيانغ في عهد إمبراطورية تشي شينجيانغ زهي-Zhishun Zhenjiang zhi، (التي تغطي الفترة من ١٣٣٠-١٣٣٣ م) وثيقة تاريخية مهمة جداً للباحثين في دراسات الهوي. وقد تم الانتهاء من إعداد تلك السجلات عام ١٣٣٣م، على يدي «يو تشيلو Yu Xilu»، الذي كان مثقفاً وتقلد مناصب رسمية محلية في المقاطعة التي تُسمَّى في وقتنا الحاضر «جيانغسو». وتوفّر السجلات معلومات شاملة عن شينجيانغ (في مقاطعة جيانغسو) في ذلك الوقت. ويعرض العمود الخاص بإحصائيات «الأسر» في الجدول التالي معلومات مفصلة عن المجموعات العرقية في هذه المنطقة، و«السكان المحليين»، ويقسمهم فئتين: «عامة الناس» (من بينهم ٨٤٠٨٣ موظفاً)، و(٢٩٥٥)، من رجال الجيش، وهلم جراً، والفئة الثانية، هم: «المهاجرون» (٣٨٤٥ أسرة). وينقسم هؤلاء السكان إلى مجموعات كما هو مبين في الجدول، الذي تم إعداده على أساس الروايات النصية في الكتاب^(١٦).

16- Yu Xilu, Zhishun Zhenjiang zhi (Zhenjiang Annals during the Zhishun era), scroll 3, «household section» (Juan san; hukou).

تم تحرير الجدول بناء على قاعدة يانغ Zhijiu، يونا داي Huizu shigao [مشروع تاريخي لدراسات أسرة يوان] (تيانجين: نانكاي، مطابع جامعة أكسفورد، ٢٠٠٣)، ١٢٧. كان المصطلح الصيني الأصلي لـ«العبيد» هو «تشو-كو». ويقول بعض العلماء: إن هؤلاء العبيد كانوا أفراداً من المهاجرين الذين تم تصنيفهم عرقياً من قبل سادتهم، ولكن يانغ يقول: إنهم كانوا فقط عبيداً لأولئك المهاجرين المذكورين آنفاً، وبالتالي قد يمثلون أعراقاً مختلفة.

تسجيل الأسر في تشنجانغ عام ١٣٣٣م

الشعب	الأسر	عدد السكان	الخدم
المغول	٢٩	١٦٣	٤٢٩
الأويغور	١٤	٩٣	١٠٧
الهوي-هوي	٥٩	٣٧٤	٣١٠
اليلكيوين	٢٣	١٠٦	١٠٩
هكسي (من سلالة شيشيا)	٣	٣٥	١٩
كيدان (خيطان)	٢١	١١٦	٧٥
نوتشي (النوتشي؛ أي المانشو، فيما بعد)	٢٥	٢٦١	٢٢٤
الهان الصينيون	٣٦٧١	٩٤٠١	١٦٧٥
المجموع	٣٨٤٥	١٠٥٤٩	٢٩٤٨

إن حقيقة وجود سجلات رسمية محلية دُوّنت بيانات الهوي هوي في تلك الحقبة بالتوازي مع المغول والأويغور، هي دليل قوي على أن الهوي هوي كانت هي التسمية العرقية لهم في ذلك الوقت. وقد أدّت عملية تسجيل الأسر دوراً رمزياً فضلاً عن دورها العملي. من الواضح إذن، أنه تم الاعتراف بالهوي هوي شعباً مستقلاً يعيش بشكل قانوني داخل أراضي الصين تحت إدارة المغول. وهكذا لم تعد هويتهم «هويةً أجنبية غريبة».

علاوة على ذلك، وعلى الرغم من أن الهوي هوي جاؤوا من أجزاء مختلفة من وسط آسيا وغربها؛ إلا أن تلك السجلات تخبرنا أن الهوي هوي كُونوا مجموعة واحدة، لديها خصائص ثقافية تختلف عن الشعوب الأخرى، مثل: شعب «هان» الصيني والمغول. في ذلك الوقت أكملت جماعة الهوي هوي تشكيل بنية نفسية مشتركة لها في تلك البيئة الجديدة التي تختلف عن البيئة التي عاشوا فيها في أوطانهم الأصلية؛ فقد وفّروا العناصر الأساسية لبناء مجموعة عرقية فريدة، من منظور أي نظرية أنثروبولوجية.

وينبغي لنا النظر في اثنين من الموضوعات الفرعية المهمة هنا:

أولهما: أن سجلات الأحداث هي سجلات محلية، ولحسن الحظ أنها باقية إلى اليوم. ولا بد أن هناك كثيراً من الوثائق التاريخية الأخرى التي لم تسلم من الضياع خلال السنوات الثمانمئة الماضية، لأسباب مختلفة. وحتى النص الأصلي لسجلات أحداث شينجيانغ

فُقِدَ في الواقع خلال عصر «تشيشن Zhishun». ولحسن الحظ، فإن النسخة التي يمكن أن نقرأها اليوم تم العثور عليها في أكبر موسوعة في العالم (موسوعة ويونغل The Yongle Encyclopedia) التي جُمعت في عهد أسرة مينغ. وبعد جهد كبير قام به عدد من الباحثين، تم التعرف إلى محرر تلك السجلات، وهو: «يو تشيلو Yu Xilu». ولأننا نفتقر إلى وجود مصادر أخرى، فإننا نَعُدُّ الوثائق الخاصة بتسجيل أُسر الهوي هوي في سجلات شينجيانغ خلال عصر تشيشن بمنزلة التاريخ الفعلي لنشأة جماعة الهوي هوي العرقية في الصين.

وثانيهما: أن هناك شعوباً من آسيا الوسطى، إبان حكم أسرة يوان، كانت تُطلق عليهم ألقابٌ أخرى في الوثائق التاريخية الصينية، ولكنهم في الواقع ينتمون إلى الهوي هوي. وقد بذل الباحثون المعاصرون في ميدان دراسات الهوي جهوداً محمودة في هذا الموضوع. ووفقاً ليانغ زهيجيو: هناك ثلاث فئات من الناس لا يُطلق عليهم مُسمًى الهوي هوي، ولكنهم في الواقع كانوا من الهوي هوي في وثائق مملكة يوان، وهم: الأرغون Ah'erhun، الذين كانوا يقيمون بين منطقتي Semirychye (وهي كلمة تعني باللغة الروسية: منطقة الأنهار السبعة)، ونهر تشو. والفئة الثانية، هم: هلالو أو جيلولو (The Halalu or Gelulu) (Karluk)، الذين عاشوا في حوض جونغقار، وانضموا في القرن العاشر الميلادي إلى (خانات قره)، خاصة في توكموك وتالاس. وبعض اليوغور من كشغر، ويركيانغ، وهيتيان من منطقة شينجيانغ، الذين كانوا مسلمين (ما يعني أنهم يختلفون عن شعب مانيشاين الأويغور). وأوضح يانغ أيضاً أن بعض هؤلاء الأويغور مسلمون هاجروا إلى المحافظات الداخلية من الصين، وتم استيعابهم ضمن شعب الهوي هوي^(١٧).

وكانت السلالة التي أعقبت سلالة يوان، هي: سلالة مينغ (١٣٦٨-١٦٤٤م). وقد هاجر كثيرون من شعب الهوي هوي الذين عاشوا في شمال غربي الصين إلى المحافظات الداخلية. ومع أن الهجرات الكبرى للهوي هوي إلى الصين التي كانت تغد من خارج شينجيانغ قد انتهت، إلا أن أعداداً كبيرة جداً من المهاجرين المسلمين قدموا إلى الصين عبر

17- Yang Zhijiu, Yuna dai Huizu shigao, 23-26 («San zhong bu cheng Hui- de Hui-Hui ren» [ثلاثة أسماء لأسلاف الهوي الذين لم يسجلوا بوصفهم هوي-هوي])

طريق الحرير. ويقول الباحث «هي ويان» المختص بدراسة الهوي: إن طريق الهجرة عبر الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي استمر بالطريقة نفسها خلال حكم سلالاتي يوان ومينغ على طول طريق الحرير. ومع ذلك، كان هناك أيضاً طريقاً بديلاً للمسلمين لدخول الصين، وهو الدخول من خلال دول جنوب شرقي آسيا وحتى من غربي آسيا، والوصول إلى المناطق الساحلية من الصين إلى المحافظات الداخلية. وقد كان للرحلات السبع التي قام بها الرحالة «تشنغ هي» من جماعة الهوي إلى بلدان جنوب شرقي آسيا وغربها، أثر كبير. وعندما وصل القادمون الجدد من المسلمين إلى الصين، انضموا سريعاً إلى الهوي هوي، بغض النظر عن أعراقهم الأصلية.

على الرغم من أن استخدام مصطلح «الهوي هوي» كان هو السائد من قِبَل شعوب الهان الصينية للدلالة على شعب الهوي في عهد أسرة يوان، إلا أنه تم إبدال هذا المسمى تدريجياً ليصبح الـ«هوي-جياو Hui-jia» خلال عهد أسرة مينغ، واستمر هذا المصطلح حتى العصر الحديث، وهو يعني حرفياً: «دين الهوي»؛ أي الإسلام.

وتخلص المناقشة الواردة سابقاً حول أصل كلمة الهوي هوي إلى أن مصطلح الهوي-جياو اشتقَّ من الهوي هوي، وليس العكس. ويُظهر كتاب «تراكمات المعرفة اليومية» أن مصطلح الهوي-جياو، المستخدم للإشارة إلى الهوي في عهد هان الصينية، جاء من خلال تحديد أكثر شيء يميزهم في المجتمع الصيني، وهو دينهم.

يُوفّر بحث «ياو دالي» دعماً إضافياً لاعتماد مصطلح «الهوي-جياو» خلال تلك الحقبة. فهو يقول إن تغيير المصطلح من «الهوي-هوي» إلى «الهوي-جياو» لأسباب ما، ناجم عن انهيار العلاقة بين الهان الصينيين والمغول. وفي الوثائق التاريخية لعهد سلالة يوان، فإن مصطلح الهوي-هوي يطابق التعبير السائد لدى المغول، وهو: «Sarta'ul»، الذي ورد في كتاب: A Short Account of the Black Tartar، بينما تُرجم مصطلح «الهوي-هوي» في عهد أسرة مينغ، من كتاب يُسمَّى: Hui Hui Guan Yiyu [ترجمة المصطلحات من معهد هوي هوي]. وكان ذلك المعهد منظمة رسمية للترجمة في بلاط مينغ.

جمع معهد ترجمة مصطلحات الهوي-هوي بعض الخطابات الرسمية من «تشيو-Xiyu» (المناطق الغربية) التي قُدِّمَتْ إلى الأباطرة الصينيين. لكنَّ تلك الرسائل، التي تُسمَّى «رسائل إشادة بالمصادقية»، يُعتَقَدُ على المستوى الشعبي أنها رسائل غير حقيقية،

ولم يُعهد بها إلى سلطات الأقطار المعنية؛ بل إنها مزيفة كتبها بعض التجار بهدف دخول الأراضي الصينية.

في معهد ترجمة مصطلحات الهوي هوي، فإن كلمة «هوي-هوي» مطابقة لكلمة «Musulmān»، بمعنى مسلم. وبهذه الطريقة، تلاشى تدريجياً استخدام «الهوي هوي» للإشارة إلى العرق أو إلى جماعة عرقية، واستُبدل به مصطلح «أتباع ديانة الهوي» (هوي-جياو) في الاستخدام السائد^(١٨).

وأشار «ياو» أيضاً إلى أنه من حيث التسمية الذاتية، فنحن لا نعرف ما هو المصطلح الذي استخدمه الهوي في البداية عندما انتقلوا إلى الصين. ولكن، بحلول عام ١٦١٣م، ووفقاً للنص المنحوت في لوح من الحجر في مسجد شارع أوكسن في بكين، فإن أبناء شعب الهوي استخدموا مصطلح الهوي-هوي للدلالة على أنفسهم^(١٩).

مصطلح «الهويتشو Huizu» في وثائق أسرة تشينغ

يبدو أن مصطلح «الهويتشو Huizu» موجود في المستندات الرسمية لـ«تشونغ شيوي سوتشو شين تشي» [سجل أحداث سوتشو المحرر حديثاً]، الذي طُبِع في السنة الثانية من حكم الإمبراطور تشيان لونغ (١٧٣٧م). سوتشو هي جيوتشيوان في وقتنا الحاضر، في مقاطعة قانسو. وتتألف تلك السجلات من ٣٠ لفيفة تحت عنوان فرعي، هو: Xibu bianch (الحدود الغربية)، وقد ورد فيها:

هناك ثلاثة أصناف من البربر [أو الشعوب غير المتحضرة: يي-رن Yi-ren] هاجروا إلى سوتشو من هامى Hami [منطقة في أقصى شرقي شينجيانغ في الوقت الحاضر]، وهم: الأويغور، الذين كانوا مختلفين قليلاً عن الصينيين الهان من حيث العادات الاجتماعية. والهلا هوي، الذين يشتركون في العادات نفسها مع اليي-رن. والهوي هوي بيض الوجوه، الذين هم الهويتشو. واليوم رجال هذه الشعوب هم من يزرعون الأرض [مهنتهم]، والنساء ينسجن الملابس، وكلهم شعوب تقطن تخوم أراضي [تلك السلالة

18 - Yao Dali, «Hui-Hui zuguo yu Huizu rending de lishi bianqian» [«The 'Hui-Hui motherland' and the historical evolution of the Hui identification»] in Yao Dali, Beifang minzu shi lun [Ten topics on the northern ethnic groups] (Nanning: Guangxi Teacher's University, 2007): 69.

١٩ - المصدر نفسه.

الحاكمة]. ولا يوجد سوى عدد قليل منهم من العلماء أو البيروقراطيين، أو رجال الأعمال، أو رجال الجيش^(٢٠).

وأشار «ياو دالي» إلى أن عدداً من الوثائق التاريخية من مقاطعة يونان ذكر أن مصطلح الهويتشو استُخدم منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي^(٢١). وقد استخدم أبناء شعب الهوي المصطلح أيضاً للدلالة على أنفسهم. وقد سجلت «ما كايكيه Ma Kaik» الروايات التي أوردتها المفكر «ما فوشو Ma Fuch» عن شعب الهوي، المعروف أيضاً باسم: «ما ديشين Ma Dexin ١٧٩١» (١٨٧٢ م)؛ في مقدمة كتابه: Dahua Zonggui، المطبوع في السنة الرابعة من حكم تونغشي (١٨٦٥ م)؛ حيث يقول وفق ما تذكر ما كايكيه:

أنا لم أُولد في العصر المناسب، وأشعر باللهفة للاطلاع على الأعمال الكلاسيكية للسيد [ما فوشو]. ورغم أنني من الهويتشو؛ إلا أنني لست [مثقفاً] حقيقياً من الهوي، فقد درست الكونفوشيوسية، ولكنني لم أصبح كونفوشيوسياً حقيقياً. اليوم وأنا أقرأ هذا الكتاب للسيد، وأعلم أنه لا يوجد عالم حقيقي بالهوي أظلمته السماء [فاق ما فوشو]، فكيف يمكنني أن أقول: إن هناك عالماً كونفوشيوسياً حقيقياً فوق أديم الأرض؟ إنني أتساءل أيضاً: عندما يمكن لأي شخص أن يصبح عالماً حقيقياً بالهوي، فلماذا لا يمكن لأي شخص أن يصبح عالماً كونفوشيوسياً حقيقياً؟^(٢٢).

قُرب نهاية عهد أسرة تشينغ، جُمع «شوكه Xu Ke» [مصنفات من مخططات أسرة تشينغ]. وقد ذكر هذا العمل مصطلح «هوي-تشو» (هويتشو) مرات متعددة، ولكنه يشير، في بعض الأحيان، إلى أعراق إسلامية أخرى في مقاطعة شينجيانغ. هذا الاستخدام المربك شائع في وثائق سلالة تشينغ، ما عزز الجدل حول المسمى الرسمي لشعب الهوي. ولكن، هناك بعض الفقرات التي تشير بوضوح إلى شعب الهوي. ومن الأمثلة على ذلك المقطع التالي، الذي يُعرّف بمدينة جويهاو Guihua (هوهيهوت Hohhot، داخل منغوليا اليوم)، وقد أورد المقطع مصطلح الهويتشو:

٢٠- وفقاً لما ذكره ما شوجيان فإن «هالا-Hala» تعني «الأسود» في اللغات التركية. فالهالا-هوي Hala-Hui كانوا من قبائل المغول من ذوي الأصول المتواضعة الذين اندمجوا مع شعب الأويغور واعتنقوا الإسلام بعد ذلك في عهد أسرة مينغ.

21- Yao Dali «Hui-Hui motherland», 91

22-Ma Kaik, «preface to *Al-Fusus*» [written in the fourth year of the Tong Zhi era (1865 CE)], Ma Fuchu, *Al-Fusus* (1922 re-printing copy; s.l.), 4.

توجد في جويهاو الديانات الأربع كلها. اللامية [البوذية التبتية] ويعتقها المانشو والمغول، ويُصنَّفُ شعب التبت أيضاً ضمن هذه القائمة. وهناك العديد من المعابد اللامية الكبيرة والصغيرة داخل المدينة وخارجها. ويوجد في الجزء الشمالي من المدينة مسجد، حيث يعيش عدد كبير من شعب الهويتشو حوله. وفي الجزء الجنوبي من المدينة، هناك معبد قوان دي، حيث يقيم الطاويون. هذا هو دين الطاوية. وفي الجزء الغربي من المدينة، هناك قاعة إنجيلية وكنيسة كاثوليكية تخص النصارى. كل الأديان الأربعة تجتمع هنا^(٢٣).

أصبح مصطلح الهويتشو مقبولاً على نطاق واسع كُسمي أطلقه عامة شعب الهوي للدلالة على أنفسهم منذ أوائل العصر الجمهوري. وكان المصطلح مستخدماً، بشكل أكثر تحديداً، بين عامي ١٩١٥ و ١٩٢٤م، عندما تأسست أول حركة للحقوق المدنية لشعب الهوي تحت قيادة جنرال من الهوي يدعى «لى تشيان»، الذي كان أحد القادة العسكريين المساعدين للرئيس «يوان شيكاي»، وتولى منصب الوكيل العام للهوي-بو، وهو المسمى المشترك لقبائل الأويغور الثماني في مقاطعة شينجيانغ. وقد أطلق حركة الهوي (وليس حركة الأويغور) عندما كان وكيلاً للهوي-بو. وفي وقت لاحق، في عام ١٩٢٤م، نشر الخطابات الرسمية، المحفوظة لدى وكيل الهوي-بو المفوض Hui-bu Gongdu، وكذلك الرسائل التي كانت في حوزته عندما كان في هذا المنصب. وقد وردت تلك الرسائل، التي كُتبت من قِبَل جماعات الهوي ومن أفرادهم، من جميع أنحاء الصين، إلا منشوريا. وكانت تلك الرسائل والالتماسات تُرفع إلى الرئيس والبرلمان، ووزارة الخارجية في ذلك الوقت، وكانت عبارة «المواطنين الهويتشو» مستخدمةً بشكل شائع من قِبَل شعب الهوي أنفسهم في مختلف المحافظات^(٢٤).

هناك عمل رسمي آخر صدر في عشرينيات القرن الميلادي الماضي (نعني بكلمة «رسمي»

23- Xu Ke, *Qing Bai Lei Chao* [Classified Collection of the Qing Sketches] under the sub-heading «Classification of religion.»

24-Li Qian, *Hui-bu Gongdu* [Official Letters Preserved by the Authorized Hui-bu Agent] (Shanghai: Zhongguo yinshua chang, 1924).

باختصار، لقد طالبت الحركة السياسية بحصة ثابتة من أعضاء الهوي في البرلمان في مجلسي الحكومة في بكين (١٩١٢-١٩٢٧م). ولم يذكر الدستور المؤقت لجمهورية الصين الذي أعلنه صن يات صن، ولا مشروع دستور الجمهورية الذي صممه يوان شيكاي حصة تمثيلية لشعب الهوي والأقليات الأخرى؛ بل إن ما ذكر فيهما هو فقط الحصص النسبية لسكان التبت والمغول.

دائماً أيّ مُجازٍ من قِبَلِ الحكومة)، عنوانه: «شي تشينغ غاو»؛ أي: مشروع عن تاريخ سلالة تشينغ، كتبه «تشاو شون»؛ الذي وظّف هذا المصطلح في إشارة إلى شعب الهوي: كانت أرض تشينغهاي للمغول والتبتيين الذين كانوا يستغلونها لتربية الماشية ورعيها في الأراضي السبخة، ولم يكن يُسمح للهان والهوي باستخدامها في الزراعة المروية. مع ذلك، كانت هناك مناطق [ترتبتها] غنية ومناسبة للزراعة. وعندما قرر نيان جينجياو [القائد العسكري في تشينغهاي منذ عام ١٧٢٧ م] تخصيص بعض الأراضي لأغراض الزراعة، بعث مجموعة من الناس من [شمال غربي] المحافظات الخمس الذين كانوا بارعين في زراعة الأرض... ثم طلب في وقت لاحق من المغول والهان-رن [التبتيين المحليين] بيع أراضٍ تقع في الأطراف لأغراض الزراعة. وكان بإمكان جميع شعوب الهان الصينيين القادمين من بعيد أو من قريب الحصول على الأراضي، لكن لم يكن يُسمح للهويتشو بذلك. والسبب هو منع وقوع أي حوادث [بين الهان والهوي] (٢٥).

خلال عهد أسرة يوان، عندما كان مصطلحا: الهوي-هوي والهوي-هوي-رن يُستخدمان (رن تعني: رجلاً أو شعباً)، كان مصطلحا: الهان والهان-رن المماثلان يُستخدمان للإشارة إلى غالبية السكان. وعندما أصبح استخدام مصطلح الهوي-جياو مفضلاً في عهد أسرة مينغ، فلا بد أن مصطلح الهان-جياو الموازي ظهر وفقاً لنظام تركيب الكلمة الصينية. وعلى الرغم من أنني لم أجد حتى الآن أي مصادر أدبية استخدمت هذا المصطلح الأخير في عهد أسرة مينغ؛ إلا أن الموروث الشفهي المشترك بين عوامّ الهوي والهان قادني إلى الاعتقاد بأن مصطلح الهوي-جياو كان مستخدماً في ذلك الحين، وأنه لا يزال حتى اليوم حياً وشائعاً (٢٦). وتُقدّم وثيقة تاريخية من عهد سلالة تشينغ مثلاً على استعمال المصطلح. يروي «تشاو فان» (١٨٥١-١٩٢٧)، في كتابه: مجموعة مختارة من يونن Yunnan Congshu الذي نُشرت طبعته الأولى عام ١٩٢٢ م، سيرة رجل من الهوي يُدعى «ما تشي لونغ»، قائلاً:

25- Zhao Erxun, *Qing Shi Gao* [Draft of the History of the Qing Dynasty], completed in 1927, «Shi Huo Zhi, Yi, Hukou Tianzhi» [Relating to Food and Consumption, 1, household and land].

٢٦- أشرت إلى استخدام مصطلح هان-جياو من قِبَلِ شعب الهوي وكذلك هان الصينية. ولا يزال هذا المصطلح شائع الاستخدام حتى اليوم. انظر: Wan Lei, *Identity and Struggles: The Hui Minority in Modern China* (Istanbul: Fatih University Press, 2012), 40-41.

مع اقتراب نهاية عهد داوجوانج Daoguang (١٨٢١-١٨٥٠م) كان تشي لونج يبلغ أكثر من سبعين عاماً. وعندما عاد إلى مسقط رأسه، سخر من الهوي في مقاطعة ليجيانغ، معتبراً أن «الفجوة بين الهان والهوي كبيرة. عندما نشأ الصراع، قُلد شعب الهوي شعب الهان-جياو في معيشتهم، وصاهروهم من أجل تفادي وقوع الاضطرابات». وندد بهذا شعب الهان لتقاعسهم وعجزهم عن التصرف بشكل صحيح لصالح الهوي. بعد مدة وجيزة، توفي تشي لونج. وبعدها بقليل نشبت صراعات [بين الهوي والهان في يونن]، وقام تشانغ تشنج تاي Zhang Zhengtai [مسؤول عسكري في بلاط تشينغ]، بارتكاب مجزرة في حق شعب الهوي من ليجيانغ، ولم يبق منهم على قيد الحياة إلا عددٌ قليل. وكان السكان المحليون على قناعة بأن تشي لونج كان على حق^(٢٧).

أصبح المصطلح شائع الاستخدام بشكل مضطرب في كتابات كُُلِّ من أدباء الهان والهوي، وفي الوثائق الرسمية، والرسومات المنتشرة في جميع محافظات الصين. وعلى الرغم من أن «الهوي-مين» تعني «شعب الهوي»، المقابل للتعبير الصيني «هويتشو» - بغض النظر عن استخدامه بصيغة الجمع أو المفرد - إلا أن الكلمة ما تزال هي الأكثر حيوية واستمراراً للإشارة إلى شعب الهوي في كلا المجتمعين: الهان والهوي. وقد تعزّز استخدام مصطلح الهويتشو بوصفه تسميةً ذاتيةً للهوي في أواخر عهد أسرة تشينغ، وعلاوة على الأمثلة المذكورة سابقاً من الشمال الغربي (تشينغهاي)، والجنوب (يونان)، والشمال (منغوليا الداخلية)، هناك المزيد من الأمثلة التي يقدمها كتاب صنّفه «وو جيان وي Wu Jianwei» بعنوان: «مجموعة مصنفة من الوثائق التاريخية المتعلقة بالهوي هوي»، يسجل فيه استخدام مصطلح الهويتشو في كُتُب عهد سلالة تشينغ في هيلونغجيانغ في شمال شرقي البلاد، وفي سيتشوان في جنوب غربي البلاد^(٢٨).

بعد ظهور مصطلح الهويتشو إلى حيز الوجود في العصر الحديث - وهي الحقبة التي يعتبر المؤرخون الصينيون أنها بدأت منذ حرب الأفيون عام ١٨٤٠م -، تلاه انتشار نظيره مصطلح هان-زو عام ١٩٠٣م. وقد استُخدم أول مرة من

27- Zhao Fan, Yunnan Congshu [Collection of the Yunnan], «chu bian / ji bu» [First compiling version/literary category], cited in Wu Jianwei, ed. Hui Hui jiushi lei ji [Categorized collection of historical documents related to the Hui-Hui] (Yinchuan: Ningxia renmin, 2002), 179.

28- Wu Jianwei, Hui Hui jiushi lei ji.

قَبْلَ «هوانغ شونتشيان Huang Zunxian» (١٨٤٨-١٩٠٥م) في إحدى مقالاته بعنوان: «بو جمينغ شو Bo geming shu» (جدل حول مقترح الثورة)، حيث يقول: أولئك الذين ينادون بتصنيف الأعراق لا يحبون أن يتعايش الهانزو Hanzu، ولا الشيانبي-زو Xianbei-zu، ولا المغول-زو Mongol-zu معاً، ولا أن يقوموا بشؤون الإدارة سوياً. والذي سيحدث هو أنهم سيكونون جميعاً تحت سيطرة المنتسو الجرمان، والمنتسو السلافيين، والمنتسو اللاتينيين^(٢٩).

باختصار، فإن استخدامات «رن»، و«جياو»، و«زو» تنوعت وفقاً لشعبية تلك الاستخدامات في عهود السلالات الحاكمة. فقد كانت المصطلحات الخاصة بتعريف شعوب الهوي تصاحبها دوماً مصطلحات موازية للتعريف بالهان الصينيين. ويمكننا أن نستنتج أن شعوب الهوي وُصِفُوا، منذ أن هاجر أسلافهم إلى الصين، بأنهم مجموعة عرقية مستقلة، لا أنهم مجموعة من الناس ينتمون إلى أديان مختلفة، وأن الاعتراف بالهويتشو في «صين ما بعد الجمهورية» كان اعترافاً بحقيقة تاريخية، سواء بالمسمى العرقي للهوي، أو بمعانيه الأنثروبولوجية.

الاستخدام المتنازع عليه للهوي-جياو، والهوي-مين (هويتشو) في الصين الحديثة

نظراً لأن مصطلح «الهوي-جياو» كان تعبيراً شعبياً غير مقصور على الدلالة على الهوي؛ بل يدل أيضاً على الجماعات الإسلامية الأخرى في بعض الأحيان في مقاطعة شينجيانغ، وحتى المسلمين في الخارج؛ فإن بعض مثقفي الهوي يجادل صراحة ويقول: إن «الهوي-جياو» لا ينبغي أن تُستخدم للدلالة على جماعة الهوي العرقية. فعلى سبيل المثال، أشار المفكر «هوانغ شينبان» من جماعة الهوي عام ١٩٠٨م إلى أن استخدام مصطلح الهوي للدلالة على الدين بدلاً من العرق كان خطأ فادحاً، لأن «الهوي-جياو تدل على جماعة من الناس، وهذه الجماعة تؤمن بهذا الدين»، ودعا

٣٠- هان جين تشون ولي بي فو هما الباحثان اللذان قدما هذا الاستنتاج. انظر their unpublished pamphlet, *Han wen minzu yi ci kaoyuan ziliao* [Data Collection for the etymological explorations on the Chinese phrase minzu] (Beijing: the Minzu Institute of the China Academy of Social Sciences, printed in 1985), 33.

الوطنيين والمخلصين لدين الإسلام لتصحيح المسمى عاجلاً، وكان اقتراحه أن يُستخدم مصطلح «الهوي-مين»^(٣٠).

كانت حجة هوانغ أن اعتماد هذا اللقب الرسمي للهوي لم يسبق له مثيل في التاريخ الصيني، وأنه لا يوجد له نظير في أي بلد آخر في العالم. وتشير مراجعة السياسات العرقية خلال الحقبة الجمهورية (١٩١١-١٩٤٩م) إلى أنها تمثل السياسة الشاملة للاستيعاب، التي تمت من خلال العديد من الإدارات. وفي الوقت نفسه، هناك عامل تاريخي مهم للغاية، هو أن الحكومة كانت مستعدة لإحياء سياسة إعلاء شأن شعب الهان في جوانب المجتمع المختلفة، وفي جميع أنحاء الأراضي الصينية بعد سقوط حكم سلالة المانشو كينغ، التي كانت تسيطر على الصين، وأبقت شعب الهان الصيني في وضع متدنٍ قرابة ثلاثة قرون. وكانت شعارات: الدولة الواحدة، والقائد الأوحده، والأيدولوجية الواحدة، والتقليد الثقافي الوحيد، هي الإرث الحقيقي لهيمنة تشينغ الاستعمارية. وقد تجاهلت الحكومة عمداً واقع تعدد الأعراق في الصين، ونادت علناً بأن جميع الناس في الصين من أصل واحد فقط، هو الأصل الصيني، وأن جميع الأقليات العرقية هي فروع تنتمي إلى هذا الأصل. وتم تطبيق هذه السياسة المنحازة؛ ليس على شعب الهوي وحده؛ وإنما على جميع الأقليات. وإزاء هذه الخلفية، أصبح عدم الاعتراف بوجود الأقليات العرقية سياسةً وطنيةً جوهريّةً.

لقد كشفتُ، من خلال بحثي، عن ثلاث حالات تم فيها تغيير الأسماء المسجلة لجمعيات الهوي في العهد الجمهوري؛ فقد استخدم منافس الحكم الجمهوري، وهو: الحزب الشيوعي الصيني، نموذجين من هذه الحالات في وقت لاحق لإدانة الحكومة نظير اتخاذها سياسة استيعاب الهوي^(٣١). هذه الحالات الثلاث كانت معنية بمصطلحي «الهوي-جياو» و«الهوي-مين» اللذين استعرضناهما آنفاً. وقد وقعت تلك الحالات في الأعوام الآتية على التوالي: ١٩١٢م (السنة الأولى للجمهورية)، و١٩٢٩م، و١٩٣٩م. كانت أسماء تلك الجمعيات الثلاث تحوي في الأصل كلمة أساسية هي «الهوي-مين».

30-Huang Zhenpan, «Lun Hui-min»«On the Hui-min» in Xing Hui Pian [Awakening the Hui] (Tokyo: liu dong qingzhen zonghui [The East Pure-True Education Society], 1908): 32-33.

٣١- استشهد كتيّب هوي مين زو ون تي [قضايا من هوي هوي مننسو]، الذي نُشر عام ١٩٤١م باثنتين من هذه الحالات كأمثلة.

ولكن في كل حالة كان يتم تغييرها إلى «الهوي-جياو» من قِبَل السلطات الجمهورية^(٣٢). واستنتاجي، بناء على هذا البحث، هو أن سياسة الحكومة الجمهورية تجاه شعب الهوي كانت واضحة منذ البداية عندما تم تأسيس الحكومة الجديدة. ومع سَنِّ سياسة الاستيعاب وتفعيلها منذ ما يقارب الثلاثين عاماً، أصبحت الفكرة معترفاً بها قانونياً، كما يتضح من بيان أصدرته الحكومة في سبتمبر ١٩٤٠م، يقول: إن الهوي «باستثناء ممارستهم طقوساً دينية مختلفة»، هم من الناحية الأخرى مثل الهان. لذلك، يمكن أن يُطلق عليهم فقط مُسمى: الهوي جياو-تو [أتباع الهوي-جياو]، ولكن ليس «الهويتشو»^(٣٣). توضح القصة التالية ردَّ فعل الهوي على تلك السياسة:

في ربيع عام ١٩٤١م، عندما قام الجنرال «باي تشونغ تشي» بزيارة شخصية محلية بارزة من الهوي يُدعى «قوه نانبو» في لانتشو بمقاطعة قانسو، سأله الجنرال: لم لَسْتُ راغباً في أن تصبح عضواً في الكونجرس وأن تفعل شيئاً مفيداً للبلاد؟ فردَّ عليه نانبو قائلاً: وأنت لم توجه إليَّ هذا السؤال؟ ردَّ باي: «أيها الرجل العظيم، كنت أنت الذي ذهبت إلى كل مكان لإلقاء الخطب؛ بل أنت الذي جمعت كثيراً من الناس لتقديم طلب للحكومة لتغيير مسمى الهوي-جياو إلى الهوي-زو، ومَنَحِ الهوي وضعاً قانونياً». فأجاب قوه: «من وجهة نظر أنثروبولوجية أنا لا أُنتمي إلى سلالة الهان؛ بل إلى الهوي. أنا مسلم من الهويتشو يحب بلده وكذلك دينه. ما قلته أنت

٣٢- لمزيد من التفاصيل، انظر مقالتي «Minguo san ci Huimin shetuan gai Huijiao kao» «ثلاث حالات تغيير لمسمى مجتمعات هويمين خلال العصر الجمهوري»، [Researches on the Hui-ology], in Zhongguo Huizu Xue ed., Ma Zongbao & Liang Xiangming (Yingchuan: Ningxia renmin and the Yellow River Publishing Group, 2015) 160-166م. وقد تم تغيير المسمى ثلاث مرات على النحو التالي:

أول مسمى من الثلاثة هو (جمعية الهوي-مين للبحوث الصينية) في نانجينغ عام ١٩١٢م، عندما تم تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الصينية. وكان تغيير المسمى للمرة الثانية هو تغيير مسمى تشونغهوا هوي مين غونغ هوي (جمعية الهوي-مين الصينية العامة) في عام ١٩٢٩م، بعد الحملة الشمالية وقيام تشيانغ كاي شيك بتوحيد جميع أمراء الحرب وإعادة تأسيس العاصمة في نانجينغ. التغيير الثالث يتعلق بمسمى تشونغهوا هوي مين شيه هوي (جمعية الهوي مين للإنقاذ الوطني الصينية) في حرب العاصمة تشونغتشينغ في عام ١٩٣٩م. وكانت هذه المنظمة جمعية مناهضة لليابان، تأسست عام ١٩٣٧م في مدينة تشونغتشو بمقاطعة خنان، ولكن أُعيد تنظيمها في عام ١٩٣٨م في ووهان على يد الجنرال باي تشونغ تشي من الهوي. ومع ذلك، في عام ١٩٣٩م، عندما تم نقلها إلى تشونغتشينغ لإعادة تنظيمها مرة ثانية، غيَّر الرئيس تشيانغ كاي شيك كلمة «هوي-مين» إلى «هوي-جياو».

33- Qiu Shusen, ed., Zhongguo Huizu da cidian [The Huizu Encyclopedia of China] (Nanjing: Jiangsu guji chubanshe, 1992), 28.

وجاء هذا الإعلان في سبتمبر عام ١٩٤٠م، ولكن لم يحدد أي تاريخ دقيق. ويشير بحثي إلى أن الإعلان ورد في العديد من الصحف في تشونغتشينغ في ٦ سبتمبر ١٩٤٠م، لذلك ربما كان صدوره قبل يوم واحد من ذلك التاريخ.

يمثل وجهة نظر الاستيعاب التي تعكس هيمنة الهان، وهو ما لا يمكنني قبوله»^(٣٤). وثمة مثال آخر يتعلق بالخلاف حول المصطلح يمكن معرفته في مجتمع يُسمى تشونغهوا هوي-زو كينجنيان هوي (جمعية هويتشو الصينية للشباب)، التي أسستها مجموعة من شباب الهوي في الجامعات في بيبين (بكين) عام ١٩٣٠م، وأصدرت نشرة: هويتشو كينجنيان (شباب الهويتشو). وقد أُوقِفَتْ أنشطة الجمعية في المدة ما بين ١٩٣٧ و١٩٣٩م بسبب احتلال بكين من قِبَل اليابانيين. وفي عام ١٩٣٩م، أُعيد تأسيس الجمعية في عاصمة الحرب «تشونغتشينغ»، ولكن، في هذه المرة، وبضغط من الحكومة، كان على الجمعية أن تغير مسماتها إلى «الجمعية الإسلامية الصينية للشباب»، وكذلك عنوان نشرتها إلى «الإسلام في الصين». ولم يكن هناك مجال لأن يجادل أحد في ذلك، أو أن يتحدى الحكومة؛ لأن البلاد كانت في حالة حرب، وتأمين الجبهة المعادية لليابانيين ضرورة هي الأشد إلحاحاً. وبعد الحرب، شجب قادة الجمعية الكبار؛ بمن فيهم: «شيويه ون بو»، و«ما رولين» قرار الحكومة علناً لعدم الاعتراف بالهوي بصفتهم عرقية مستقلة، وصمّموا على إعادة تأسيس الجمعية في نانكين في نوفمبر ١٩٤٥م بمسماها الجديد: «جمعية الهوي-مين الصينية للشباب»، وأصدروا نشرة بعنوان: «هويتشو الصين»^(٣٥). عندما بدأت كتابة أطروحتي لرسالة الدكتوراه قبل عشر سنوات، لم أكن مقتنعاً بالخوض فيما يُسمّى بالبيئة الإرهابية لمصطلح الهوي-جياو والهوي-زو خلال أربعينيات القرن الماضي. ولم أكن أدرك أهمية هذا الموضوع حتى قرأت مقالاً يحكي قصة أستاذ من الهوي اسمه «ما زونغرونغ» كتبه صديقه المعاصر: «شان كيشنغ»، الذي كان أيضاً ناشطاً من الهوي من مقاطعة هنان. كان «ما» قد جاء من مقاطعة سيتشوان، وكان أستاذاً في الجامعة الوطنية الجنوبية الغربية المشتركة. ووفقاً لمذكرات شان، فقد تابعت كُلُّ من «شان» و«ما سونغتينغ»، وهو إمام بارز من الهوي، قبيل العطلة الصيفية

34-Ma Chen, «Hui-zu Hui-jiao zhi zheng» [The Contest between the Terms of Hui-zu and Hui-jiao during the Republic Era] in Huaxing Shibao [*Huang Xing Times*], http://nx.cnr.cn/btwh/hxfq/200707/t20070710_504511186.html [accessed on January 29, 2015].

٣٥- Xuewenbo, *Xuling Chongze [Brilliant Shine from Snowy Mountains]* (Vol. 1) انظر Unpublished Memoir of Xue Wenbo; printed in Lanzhou, 1999), 95-108 (subtitle «Chongqing jiyu» [My opportunities in Chongqing]). See also, «Minguo shiqi de Zhongguo Hui-zu qingnian hui» (The China Hui-zu Society for Young People),

عام ١٩٤٤م، حول عقد فصل دراسي لطلاب الهوي في جامعات تشونغتشينغ لتعزيز معرفتهم بأمور دينهم. وقد وافق الجنرال «باي تشونغشي»، الذي شغل منصب مدير عام جمعية الهوي-جياو الوطنية الصينية، على هذه الخطوة، وعيّن «ما زونغرونغ» مديراً للتعليم في ذلك الفصل الدراسي الصيفي. وعندما بدأ الفصل الدراسي، دعا «ما» كلاً من مثقفي الهوي وعلماء الهان لعقد حلقات دراسية. وعندما تم توجيه الدعوة إلى «تشانغ تشيرنغ»، و«فنج شوفنغ»، تدخل «يانغ جينغ تشي»، الوكيل وضابط المخابرات في الحكومة، واعترض على سير العمل في الفصل الدراسي؛ فقد كانت الحكومة قلقة من شعبية ومنح الحصانة «للهوي-زو». كان «ما» شخصاً نزيهاً مستقيماً، لكنه كان يزدري المخابرات الحكومية. وقد وُجِّعَ يانغ، وسرعان ما انسحب هذا الوكيل^(٣٦).

تكمُن أهمية الخوض في مصطلحات الهوي-جياو والهوي-تشو خلال العصر الجمهوري، في أنه يمثل المطالب التي لا تقتصر على الاعتراف بالهوية العرقية فحسب؛ بل المطالبة أيضاً بالحقوق السياسية وحقوق الإنسان. وكان شعب الهوي مهتماً، في المقام الأول، بحصص التمثيل في الكونغرس (الجمعية الوطنية)، وفي الإدارات المحلية، والتي أصبحت منافسة سياسية حقيقية بين عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٧م. وكان كفاح «الهوي» في العهد الجمهوري قد انتهى بالإخفاق على الجبهتين: تصحيح مساهم العرقي ونيل حصة في الكونغرس^(٣٧).

بعد الحرب الأهلية (١٩٤٦-١٩٤٩م)، انسحبت الحكومة الوطنية إلى تايوان. وفي ١٨ مارس ١٩٥٤م، بعد خمس سنوات من فقدان الحكومة الوطنية السيطرة السياسية على الأراضي الرئيسة في الصين، أقرت الجمعية الوطنية مشروع قانون منح غير المادة ١٣٥ من الدستور عام ١٩٤٦م، ونصّ على «أن أولئك الذين اعتنقوا الإسلام يجب أن يُطلق عليهم مسمى الهوي-مين [شعب الهوي]»^(٣٨). فقد نصّت هذه المادة على أن شعب الهوي هم «سكان الأراضي الداخلية ولديهم تقاليد معيشية خاصة». وتعكس

36-Shan Kexing, «Huizu jinbu jiaoshou Ma Zongrong», [«A Progressive Hui professor Ma Zongrong»], *Journal of Hui Studies* (Yinchuan), no. 3 (1993): 98.

37 -Wan Lei, *Identity and Struggles*: 230-32.

38- Hajji Yusuf Chang, «Chinese Islam and the Hui minority: Past, Present and Future», paper presented at an international symposium in memory of Joseph Fletcher at Harvard University, 1989 [unpublished], 17-18.

الصيغة المنقحة واحدة من أقدم التسميات الذاتية للهوي، وتمثل اعترافاً متأخراً بهويتهم العرقية، وهو اعتراف سبق أن طالب به الهوي. وأنا لست على دراية بخلفية أو بتفاصيل العملية التي أدت إلى إعادة النظر في هذا القانون.

أطلقت جمهورية الصين الشعبية التي أسسها الشيوعيون الصينيون، حملة الهوية العرقية عام ١٩٤٩م، واستمرت نصف قرن. وأدرجت قومية الهوي ضمن تسع من الجماعات «المعترف بها علناً». وفي أواخر عام ١٩٥٤م، تم «الاعتراف علناً» بتلك الجماعات العرقية التسع، بالإضافة إلى تسع وعشرين جماعة عرقية أخرى، تم الاعتراف بها من قِبَل الحكومة^(٣٩). وفي ٢ يونيو ١٩٥٦م، أعلن مجلس الدولة بجمهورية الصين الشعبية اعتماد «الإسلام» رسمياً اسماً لهذا الدين، والإبقاء على مصطلح «الهوي» للدلالة على عرقية الهوي. وينص الإعلان على:

في مناطق الهان من بلدنا، يُسمى الإسلام عموماً «الهوي-جياو»، ما يدل على أن هذا الدين هو الاسم المعلن من قبل الهوي-مين. ومع أن الصحف والمجلات تستخدم هذا المصطلح دوماً؛ إلا أن هذه التسمية ليست دقيقة. فالإسلام دين عالمي، والإسلام مصطلح يُستخدم بشكل شائع. في بلدنا، وبصرف النظر عن الهويتشو، فالجنسيات التي تدين بالإسلام تشمل الأويغور، والكازاخ، والأوزبك، والطاجيك، والقرغيز، والدونغشيانغ، والسالار، والباوآن. لذا، لا يصح من الآن فصاعداً استخدام مصطلح «الهوي-جياو» إذا كان «الإسلام» هو المقصود^(٤٠).

عند هذه النقطة، انتهى الخلط رسمياً في الصين، ذلك الخلط الذي دام قرناً طويلاً بين استخدام مصطلحي «الهوي-جياو» و«الهوي-تشو»، بوعي أو بغير وعي، وبمقاصد سياسية أو أنثروبولوجية للدلالة على شعب الهوي. ومنذ ذلك الحين، أصبح مصطلح «الهويتشو» أكثر شعبية من ذي قبل. في الوقت نفسه، كان مصطلح «الهوي-مين» ما زال مستخدماً بين شعوب الهوي والهان، لكن استخدامه كان أقل من ذلك بكثير في غالب

39-Huang Guangxue, ed., *Zhongguo de minzu shibie (Identifying China's Minzu)*. Beijing: Minzu chubanshe, 1995, 148.

٤٠- «إعلان مجلس الدولة بشأن مسألة مسمى دين الإسلام» في مجموعة الإعلانات الصادرة عن مجلس الدولة لجمهورية الصين الشعبية (مكتب مجلس الدولة لجمهورية الصين الشعبية، ١٩٥٦)، ٦٠٥ (رقم ٢٥).

الأحيان في الوثائق الرسمية. ولا يوجد مصطلح «الهوي-جياو» إلا في المنشورات القديمة، التي تعود عادة إلى ما قبل ١٩٤٩م؛ ومع ذلك، ما زال المصطلح يحظى بشعبية في تايوان وهونغ كونغ، والمجتمعات الصينية في دول جنوب شرقي آسيا.

الخاتمة

كان هدي من هذه المقالة استكشاف أصل مصطلح «الهوي-تشو» وتطوره؛ بدءاً بدراسة كلمة «الهوي-هوي»، كون جذر الكلمة يشكل أساس المصطلح الأخير «هويتشو». فمصطلح «الهوي-هوي» نشأ من كلمة «الهوي-هي»، ولاحقاً «الهوي-هو»، التي كانت ألقاباً تشير إلى قبيلة تركية، انحدر منها شعب الأويغور الموجود في وقتنا الحاضر. كان مصطلح «الهوي-هوي» يُستخدم على نطاق واسع خلال عصر خانات المغول وسلالة يوان للإشارة أساساً إلى الخوارزميين، الذين أُجبروا على الهجرة إلى الصين بسبب الحملات المغولية، وكذلك إلى التجار العرب والفرس الذين استقروا داخل الصين منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي.

لقد اعتُمد مصطلح «الهوي-جياو» على نطاق واسع بعد عصر سلالة يوان، ويعكس المصطلح مدى تراكم المعرفة لدى الشعب الصيني فيما يتعلق بشعب الهوي، لأنه ميزهم بناءً على خصائصهم وسماتهم الدينية. ومع ذلك، فعبارة الهوي-جياو مشتقة من الهوي هوي، وليس العكس. وقد استمر مصطلح الهوي-جياو يحتفظ بدلالة عرقية من خلال الإشارة إلى مجموعة محددة عرقياً من الناس، وليس مجرد وجود دلالة دينية له.

كانت كلمة «الهوي-مين» بمنزلة عبارة للتعريف بالذات، وتسمية أطلقها شعب الهان للإشارة إلى شعب الهوي. فهي تمتلك في الأساس معنى مصطلح الهويتشو نفسه. إن مصطلح الهوي-مين هو الأكثر حركية من بين المصطلحات التي ألقينا عليها الضوء في هذه المقالة. وقد استُخدم هذا المصطلح على نطاق واسع من قِبَل الهان والهوي، وكذلك بين عامة الناس وفي الوثائق الرسمية منذ عهد سلالة مينغ حتى اليوم؛ غير أن مصطلح «الهويتشو» دخل حيز الاستخدام في عهد أسرة تشينغ بدلاً لمصطلح «الهوي-مين»، على الرغم من أنه لم يكن مستخدماً كثيراً.

كما استعرضنا مسألة استخدام عبارتي «الهويتشو» و«الهوي-مين» عندما احتج شعب

الهوي على استخدام مصطلح «الهوي-جياو» في الصين الحديثة. ولدوافع سياسية غير نزيهة، كان يُساء تفسير المصطلح عمداً من لدن السياسيين من أجل توفير أساس نظري لما كان - في واقع الأمر - سياسةً استيعابٍ عرقيٍّ. وبعد صراع طويل من أجل الاعتراف الأكاديمي والسياسي، قَبِلَ شعب الهوي عبارتي: «الهويتشو» و«الهوي-مين» طوعاً، إلى جانب هُويّتهم العرقية، التي تم الاعتراف بها في خمسينيات القرن المنصرم من قِبَل الشيوعيين والسلطات القومية في تايوان.

نبذة عن الكاتب

وان لي: حصل على درجة الدكتوراه في التاريخ من جامعة مالايا في ماليزيا عام ٢٠٠٩م، وهو عضو في الجمعية الوطنية للدراسات الخاصة بالهوي. نشر دراسة عن هوية مجتمع الهوي ونضاله، بعنوان: أقلية الهوي في الصين الحديثة، أجراها في إسطنبول عام ٢٠١٢م، فضلاً عما يزيد على اثني عشر مقالاً أكاديمياً باللغتين الإنجليزية والصينية. يعمل حالياً أستاذاً في جامعة شينجيانغ للزراعة والغابات، مقاطعة هينان، الصين.

نبذة عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

تأسس سنة ١٤٠٣هـ، ومقره الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية. ويقوم المركز بعدة أنشطة، منها: عقد المحاضرات، والندوات، والمؤتمرات، وحلقات النقاش. كما يحتضن مكتبة الملك فيصل، ومجموعة مخطوطات نادرة، ومتحفاً إسلامياً، وقاعة الملك فيصل، والباحثين الزائرين. ولأن أساس العمل في المركز هو البحث العلمي؛ فقد تم إنشاء إدارة البحوث سنة ١٤٣٤هـ للقيام بتحليلات متعمقة حول القضايا السياسية المعاصرة، والدراسات السعودية والإقليمية، ودراسات اللغة العربية والحدثة. ويقوم المركز بالتعاون مع مراكز الأبحاث الأخرى في مختلف دول العالم في مجال تخصصه.

ويهدف المركز إلى أن يكون مصدر إشعاع للإنسانية تحقيقاً لتصور الملك فيصل ابن عبدالعزيز رحمه الله، عبر القيام بالبحوث والدراسات، وحفز الأنشطة الثقافية والعلمية إلى ما يخدم البشرية، وإثراء الحياة الثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية، والعمل بوابةً وجسراً للتواصل شرقاً وغرباً. ويتألف مجلس إدارة المركز صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز.